كان جبريل ومعه احدى عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن قال
النحويون ودخلت كلمة قد هنا لان السامع لقصص الانبيا يتوقع قصة بعد قصة وقد
للتوقع ودخلت اللام في لقد لتاكيد الخبر قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما ويجوز
نصبه فقالوا على معنى ذكروا سلاما سلمنا قال سلام اي امركم او جوابي سلام او
وعليكم سلام تحية قوله سلام اكمل من قوله السلام لان التنكير يفيد الكمال
والمبالغة والتمام ولهذا صح وقوعه مبتدا لان النكرة اذا كانت موصوفة جاز
جعلها مبتدا واما لفظ السلام فانه لا يفيد الا الماهية فان قيل فلاي شي ما كيف
الاول في التحلل من الصلاة عند النووي اجيب بان ذلك سنة متبعة وقرا
حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام ولا الف بعدها والباقون
بفتح السين والف بعدها قال الفرا ولا فرق بين القراتين كما يقال حل وحلال
وحرم وحرام وقيل سلم هو بمعنى الصلح اي نحن سلم صلح غير حرب فما لبث
ان جا بعجل حنيذ اي فما ابطا مجيئه به والحنيذ المشوي على
الحجارة المحماة في حفرة من الارض وكان سمينا يقطر ودكه كما قال في موضع اخر
فجا بعجل سمين قال قتادة كان عامة مال ابراهيم البقر وروي ان ابراهيم
مكث خمس عشر ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا
ياكل الا معه فلما جا الملايكة راي اضيافا لم ير مثلهم فعجل قراهم وجا بعجل
سمين مشوي فلما راى ايديهم اي الاضياف لا تصل اليه اي لا يمدون
ايديهم اليه نكرهم اي انكرهم وانكر حالهم لامتناعهم من الطعام واوجس اي
اضمر في نفسه منهم خيفة اي خوفا قال قتادة وذلك انهم كانوا اذا نزل
بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يات بخير وانما جا بشر قالوا لا تخف يا ابراهيم
انا ملايكة الله ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما لم نمد له ايدينا لانا
لا ناكل وامراته اي ابراهيم سارة وهي ابنة عم ابراهيم قائمة وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فسمعت البشارة بالولد التي دلت
عليها فيما مضى قوله بالبشرى فضحكت سرورا من تلك البشرى لزوجها
مع كبره وربما ظنته من غيرها لانها كانت عجوزا عقيما فازيل ذلك الظن عنها
بقوله تعالى فبشرناها اي على لسان الملايكة تشريفا لها وتفخيما
لشانها باسحاق تلده ومن وراء اسحاق يعقوب اي يكون يعقوب عليه السلام
ابنا لاسحق عليه السلام فعاشت حتى رات ولد ولدها قال البقاعي والذي
تدل على هذا التقدير من انهم بشروه بالولد قبل امراته فسمعت بما يأتي عن
نص التوراة وساق عن التوراة عبارة مطولة وقيل سبب سرورها زوال
الخيفة او هلاك اهل الفساد وقيل فضحكت فحاضت كما قال الشاعر
عهدي بسلمى ضاحكا في لبانه اي حائضا في جماعة من النسا وهذا رد على الفرا
حيث قال ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال آخر

يضحك الضبع لقتلى هذيل اراد انها تحيض فرحا تنبيه ههنا همزتين مكسورتين
من كلمتين قرا قالون والبزي بتسهيل الاولى مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل
بتسهيل الثانية وابدالها ايضا حرف مد وقرا ابو عمرو باسقاط احدهما مع
المد والقصر والباقون بتخفيف الهمزتين ولا الف بينهما قالت يا ويلتى هي
كلمة تقال عند امر عظيم والالف مبدلة من يا الاضافة ءالد وانا عجوز وكانت
ابنة تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد تسع وتسعين سنة
وهذا بعلي اي زوجي سمي بذلك لانه قيم امرها وقولها شيخا نصب على
الحال قال الواحدي وهذا من لطيف النحو وغامضه فان كلمة هذا للاشارة
فكان قولها وهذا بعلي شيخا قايم مقام ان يقال اشير الى بعلي حال كونه شيخا والمقصود
تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة وكان ابن مائة وعشرين سنة
في قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة
ان هذا لشي عجيب اي ان الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون
القدرة ولذلك قالوا اي الملايكة لسارة اتعجبين من امر الله منكرين عليها ذلك
اي لا تعجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شي واذا اراد شيا كان سريعا فان
خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد
النعم والكرامات ليس بمستغرب رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي بيت ابراهيم
واهل منصوب على المدح او الندا لقصد التخصيص كقولهم اغفر لنا ايتها العصابة
وهذا على معنى الدعا من الملايكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل
من اهل بيته انه تعالى حميد اي محمود على كل حال او فاعل ما يستوجب به الحمد
مجيد اي كثير الخير والاحسان القصة الخامسة التي ذكرها الله تعالى
في هذه السورة قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم
الروع اي الخوف وهو ما اوجس من الخيفة حين انكر اضيافه واطمأن قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع بالولد اخذ يجادلنا اي يجادل رسلنا في شان
قوم لوط وجواب لما اخذ يجادلنا الا انه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه
وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروع جادلنا فان قيل كيف جادل ابراهيم الملايكة
مع علمه بانهم لا يمكنهم مخالفة امر الله وهذا منكر اجيب بان المراد من هذه المجادلة
تاخير العذاب عنهم لعلهم يومنون ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي
لان الملايكة قالوا انا مهلكوا هذه القرية او ان مجادلته انما كانت في قوم لوط
بسبب مقام لوط فيهم ولهذا قال ابراهيم عليه السلام ارايتم لو كان فيها
خمسين رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال او اربعون قالوا لا قال فثلاثون
قالوا لا قال فعشرون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها
رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى
هذا في سورة العنكبوت فقال ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى

Copyright King Saud University